المال. وقد اكثر الغربيّون من انشاء هذه المستودعات المفيدة في بلدانهم التجارية وصرفوا عنايتهم الى تنظيم شؤونها

على انّ هذه الوسائط كلّها لا تجدي نفعاً لولا الصدق والاستقامة. ولا ريب انّ هاتين الفضيلتين مبدأ كل نجاح من سلك جدّدهما آمن العثار. ومن زاغ عنهما طاش سهمهُ وانتقضت وسائله فكان مصيرهُ الى البوار. وربما يغشّ التاجرُ الكذوب الناسَ اوّلاً وثانياً فيربح قليلا ولكن لا يلبث حتى ينكشف سرّه وينجلي أمره. فيعرض عنهُ الناس ويخذلونهُ فيندم ندامة الكسعيّ. هذا قلٌّ من كثر الوسائط التي يتذرعها التجار لترويج تجارتهم في اقطار العالم. ويشهد الحق انهم سعوا فذللوا اشمّ الحوائل. وهوّنوا صعاب المشاكل. فقربوا متنائل حوائج ضرورية كانت أبعد من بيض الأنوق وأعزّ من الابلق العقوق. وليس للانسان الّا ما سعى

مأثرة برمكية

اقتطفها الاب لويس شيخو اليسوعي

من كتاب احسن المسالك لاخبار البرامك ليوسف بن محمد البلويّ

انّ الكتاب الذي اخذت عنهُ هذه الرواية محفوظ في خزانة كُتب باريس بين المخطوطات العربية عدده ٧١٠ (Ms Arabes de Paris, Suppl. 710) . وقد جاء في هذا الكتاب عدّة حكايات غاية في اللطف والرقّة فاخترنا منها واحدة تكيّاً للخواطر وهي الى اليوم لم تُرَ في الكتب المطبوعة. وردت في الصفحة ٥٦ من الاصل

ذُكر في قطب السرور عن عمرو بن مسعدة قال: وقع الى المأمون محمّدُ بن عبدالله رُقعةٌ يتمّ فيها بجرمة ويزعم انّهُ من صنائع البرامكة وانّهُ مولى ليحيى بن خالد وقد كانت لهُ نعمة واسعة وضيعة وأنّ ضيعتهُ قُبضت فيما قُبض للبرامكة وزالت نعمتهُ بحلول النقمة بهم ودفعها الى المأمون فدفعها المأمون الى احمد بن ابي خالد وامرهُ بُضيّه اليهِ والاجراء عليهِ. فصلحت حال محمّد بن عبد الله بذلك وتراجع اليهِ امرهُ فكان ينادم احمد بن ابي خالد لا يفارقهُ فتأخّر عنهُ يوماً لمولود وُلد لهُ فبعث اليهِ فاحتجب عنهُ فغضب عليهِ بسبب ذلك فحبسهُ وقيّدهُ والبسهُ جبّة صوف. فمكث كذلك أياماً فسألهُ المأمون عنهُ يوماً فذكر لهُ ما هو فيهِ من الضّلف والتيه والافتخار بالبرامكة وانّهُ لا يزال يذكرهم ويترحّم عليهم. فامر باحضارهِ فأُحضر على تلك الحال واقبل عليهِ بالتوبيخ مسفّهاً

لرأيه ويذكره ما تقدّم من فقره وعظم في عينه احسان ابن ابي خالد. فقال له: يا امير المؤمنين اطال الله بقاءك لقد وضعتَ من البرامكة غير موضوع وصغّرت منهم غير مصغّر وذممت غير مذموم وقد كانوا شفاء ايّام دهرهم وغياث جدب عصرهم ومفزعاً للملهوفين وملجأً للطالبين فان أذن امير المؤمنين حدّثتهُ ببعض اخبارهم ليعلم صدق قولي في تفرّدهم في عصرهم بالايادي النفيسة. فقال له: هات وأوجز. فقال: ليس بانصاف وانا في القيود. فامر بفكّ قيوده. فقال: يا امير المؤمنين ألمُ الجبّة حائل بيني وبين حلو الحديث ومانعٌ لي من الوقوف على غرَره. فامر بخلع الجبّة عنهُ وان يُخلع عليه ثمّ قال له: هات حديثك. فقال:

يا امير المؤمنين كان وَلائي ليحيى وانقطاعي للفضل ابنهِ. فقال لي الفضل يوماً بحضرة ابيهِ واخيهِ: يا محمد احبُّ ان تدعوني دعوةً كما يدعو الصديق صديقهُ. فقلتُ له: حالي تصغر عن ذلك وتضيق بهِ ومالي يعجز عنهُ وهيأتي لا تقوم بهِ. فقال لي: دع عنك فلا بُدَّ منهُ. فأعدتُ عليهِ الاستقالة والاستعفاء فرأيتهُ مصمّماً. فاقبلتُ على بيهِ لائذاً ومستعيناً بهِ واستعنتُ باخيهِ جعفر فاقبلا عليهِ وسألاهُ ذلك واعلماهُ بقصور يدي عن بلوغ ما يحبُّهُ ويشتهيهِ. فقال لهما: لستُ بمانع منهُ دون ان يدعوني وإيّاكما لا رابع معنا. (قال) فاقبلا عليَّ وقالا: هذا قد ابى ان يعفيك وان لم يكن الامرُ الّا لنا فلا حشمة بيننا أقعدنا على اثاث بيتك فأطعمنا من طعام اهلك فنحن بذلك قانعون. فقلت للفضل: ان كنت قد عزمت على ذلك وأبيت الّا فضيحتي فلا بُدَّ من ان تؤجّلني اجلًا اتأهّبُ فيهِ لكم. فقال: استأجلْ لنفسك ما تريد. فقلتُ: أجّلني سنة. فقال: ويحك او معنا امان من الموت لسنة. فقال يحيى: ويحك قد افرطتَ في الاجل ولكنّي احكم عليكما بما ارجو ان لا يردّهُ ابو العبّاس فاقبلهُ انت ايضاً. فقلت: احكم جعلني الله فداك ووفقك للصواب وتفضّل عليَّ بالنسحة في المدّة. فقال: قد حكمت بشهرين. فخرجتُ من وقتي وبدأتُ بترميم منزلي واصلاح آلتي وشراء ما اتجمّلُ بهِ من فرش واثاث وغير ذلك وهو مع ذلك لا يزال يذكّرني حتى اذا كانت الجمعة الذي نجز فيها الوعد قال لي: يا محمد قد قرب الوعد ولا احسبُ قد بقي الّا عمل الطعام. فقلتُ: نعم جعلني الله فداك. وامرتُ بالطعام فأصلح بغاية ما تنالهُ يدي ومقدرتي وجاءني رسولهُ عشيّة اليوم الذي صبيحتهُ الوعد فقال: هل تأذن في البكور. فقلت: نعم جعلني الله فداك

فبكّر الي هو وجعفر ويحيى وسائر اولادهم وفتيانهم . فلمّا دخلوا اقبل عليّ الفضل فقال: يا محمّد اوّل شيء ابدأ بهِ ان انظر الى نعمتك صغيرها وكبيرها فقُم بنا حتى ادور عليها فاحتاطَ بها علماً . فقمتُ وقام وهما معهُ حتى طاف المجلس ثمّ خرج الى الخزائن ثم الى بيت الشراب وخرج منهُ الى الاصطبل ونظر الى كبير نعمتي وصغيرها . ثم عدل الى المطبخ فامر بكشف القدور وعرّض كل ما اصنع من الطعام قِدرًا قدرًا ثم اقبل على ابيهِ وقال: هذا اللون الذي يعجبك ولستَ بمبارحٍ دون ان تأكل منهُ . ودعا برغيف فقسمهُ في القدر وناولهُ اباهُ ثمّ فعل باخيهِ كذلك ثم امر غلمانه برفع القدور واكل ما فيها

فلمّا رأيتُ ذلك ضاقت عليّ الدنيا وقلتُ: ما العمل هذا شيء اجتهدتُ فيهِ ولا يمكنني استئناف عمل طعام اخر . فقال لي الفضل: نحن نقتنع منك بما في منزلك من طعام اهلك . ثم دعا بالحلال وخرج الى صحن الدار فادار بصرهُ في جنباتها وسقوفها وارورقتها ثم قال لي: يا محمد مَن بجوارك . فقلتُ: جُعلت فداك فلان التاجر عن يميني وفلان الكاتب عن شمالي وخلف ظهري رجل قد ابتاع خربة فهو في بنيانها لا يبرح . فقال لي: أتعرفهُ . قلت: لا . قال: كان الأليق بحالك منّا ان لا يجترئ عليك رجل ويشتري بقربك شيئاً الّا بامرك ولاسيما اذا كان ملاصقًا لك . فقلتُ: ما منعني من ذلك الّا ما كنت فيهِ من الاشتغال بهذه الدعوة المباركة . قال: فاين الحائط الذي يتّصل بدارك . فأومأتُ الى موضع من الدار . فقال: عليّ بنجّار . فاتي بهِ . فقال لهُ: افتح هاهنا بابًا . فاقبل عليهِ ابوهُ وقال لهُ: نشدتك الله يا بُنيّ لا تهجم على قوم لم تعرفهم . واقبل عليهِ اخوهُ بمثل ذلك فأبى الّا فتح الباب وخفتُ مغبّة ذلك ولم اجترِ على الكلام بعد ان ردّ اباهُ واخاهُ . فتح الباب في الحائط ودخل منهُ ثم بعث الى ابيهِ واخيهِ أنِ ادخلا: فدخلا فاذا في وسط الدار فتى جالس على سرير وعلى رأسهِ عشرون غلامًا كأنّهم الدنانير بالمناطق المشتّة . فقاموا باجمعهم بين يديهِ فدخل الدار وطاف في مجالسها وخزائنها فوجدها مشحونة بآلة الملوك من الفرش والاواني فاقبل عليّ وقال: يا محمد ايُّما احسن هذه ام دارك . فقلت: اصلح الله الوزير والله ما رأيتُ مثل هذه الدار وانها لا تليق الّا بك . فقال لي: احبّ ان تكون صاحب الدار ويكون مالكها عبدًا لك . فقلت: جُعلت فداك من اين لي ذلك . فقال: اعلم انك لمّا نهضت من بين يديّ ساعةَ سألتك دعوتي امرتُ غلامي بشراء هذه الخربة وبنائها واتخاذ كل ما ترى فيها وقد وهبتُها لك بكل

ما فيها . يا غلام هات ما عندك من الطعام . فأتى بطعام ما رأيتُ مثلهُ فجعلوا يأكلون

ثم نظرتُ الى جعفر فرأيت الكآبة بادية على وجههِ وقد التفت الى ابيهِ وقال: يا ابتِ اعزَّك الله لا ازال اشكو اخي ابا العبَّاس اليك ولا تنصفني منهُ أفترضى لهُ ان يختصَّ بهذه المكرمة دوني ويضنَّ بمشاركتي اياهُ . فاقبل يحيى على ولدهِ الفضل وقال: يا بني لقد كنت اولى ان تشرك اخاك في هذه النفيسة . فقال لهُ : جُعلت فداك والله ما تفرَّدتُ بها دونهُ ولا استبدَّيت بها دونهُ ولقد تركتُ لهُ صَفوها . فقال: ما هو وقد قُضي الامر . فقال الفضل : انَّ محمدًا هذا رجل قليل ذات اليد لا مال لهُ ولا ضيعة عندهُ تقوم بهذه الدار ومتى خُلِّي بينهُ وبين هذه الدار وهؤلاء الغلمان لم يقوَ على ذلك وكان ذلك مضرًّا بحالهِ وضيعتك الفلانيَّة مشاكلة لهذه الدار فأوْهبها لهُ ليقوى بها على امرهِ . فقال لهُ جعفر : صدقت لقد فرَّجت عني . يا غلام هاتِ كتاب الضيعة . فسلَّمهُ اليَّ وقام يحيى فضمَّ ولديهِ الى صدرهِ وقبلهما وقال بأبي انتما ونفسي اقيكما لا اخلاكما الله من مزيد بسطة ونعمة جليلة ولا اخلاني فيكما من دوام العافية وطول العمر واجتماع الشمل .

(قال) فبكى المأمون عند استماعهِ ذلك وقال: والله لقد برَّز القوم في فضلهم وسبقوا بمجدهم انك لجدير يا محمد ان تطنب فيهم . وامر بردّ ضيعتهِ عليهِ وامر لهُ بالف دينار

اليزيدية

لحضرة الاب انستاس الكرملي البغدادي (تابع لما سبق)

في شيوخ اليزيدية واصحاب الرُّتَب عندهم

(الكوچك) انَّ اليزيديَّة يعتبرون الكوچك بمنزلة نبيٍّ . وزد على ذلك ان الكوچك اذا اراد ان يتنبأ يلتحف بعباءة ويضطجع على الارض ثم يُدمدم فيرتعش فيغني فيروي للحاضرين ما تراءى لهُ في الرؤيا النبويَّة ويقول: « اني اعرف كل ما حدث في العصور الخالية والوقائع الماضية من ايَّام آدم وحوَّاء الى يومنا هذا . والكوچك ايضًا بمنزلة الطبيب عندهم فانهُ اذا سمع بمريض واحد يعودهُ للحال ليصف لهُ الدواء المناسب لدائهِ وكيفيَّة استعمالهِ . وهذا الدواء هو واحد لا يتغيَّر وان تغيَّرت العاهات والادواء . وهذا الإسم العام هو « تراب » من المزار الفلاني او الفلانيّ حسب اختلاف المرض .